الإصرار والاستهانة بصغائر الذنوب مَهْلَكَة

إعداد
بشير بشبدو
وفقه الله

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

الإصرار والاستهانة
بصغائر الذنوب
مهلكة

دار الفرقان للنشر والتوزيع - ٢٠١٨/١٤٤٠
ردمك : ٣-٤٤-٦١٦-٩٩٣١-٩٧٨
الإيداع القانوني: السداسي الثاني، ٢٠١٨
Dar Al-furquan Edition. 2018
ISBN: 978-9931-616-44-3
Dépôt Légal: 2eme semestre. 2018
ISBN 978-9931-616-44-3
9789931616443

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ – ٢٠١٨ م

الصف والإخراج الفني
بدار الفرقان

دَارُ الفُرقَانِ لِلنَّشرِ وَالتَّوزِيعِ

المقر التجاري: ٢٠ شارع أحمد حسينة
باب الوادي – بجوار مسجد السنة - الجزائر
جوال: ٠٠ ٢١٣ (٠) ٥٥٦ ٩٦ ٥٨ ١٠
dar.alfurquan@gmail.com

الإصرار والاستهانة بصغائر الذنوب

مهلكة

إعداد

بشير شبرو

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإصرار والاستهانة بصغائر الذنوب مهلكة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ

فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أمّا بعد:

قال الله تعالى:﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٥].

▪ قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا، قول من قال: [الإصرار]، الإقامة على الذنب عامدا، وترك التوبة منه).

▪ قال الإمام المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه...).

▪ ومما جاء في تفسير «التحرير والتنوير»:

(وقوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ إتمام لركْني التَّوبة، لأنّ قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ يشير إلى الندم، وقوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ تصريح بنفي الإصرار، وهذان ركنا التَّوبة.

وفي الحديث: «النَّدم توبة»....).

وقد انتظم من قوله: ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ ﴾ وقوله: ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الأركان الثلاثة الَّتي ينتظم منها معنى التَّوبة في كلام أبي حامد الغزالي في كتاب التَّوبة من «إحياء علوم الدّين» إذ قال: (وهي عِلْم، وحال، وفعل. فالعلم هو معرفة ضرّ الذنوب، وكونها حجاباً بين العبد وبين ربِّه، فإذا علم ذلك بيقين ثار من هذه المعرفة تألّم للقلب بسبب فوات ما يحبّه من القرب من ربِّه، ورضاه عنه، وذلك الألم يسمّى ندماً،

فإذا غلب هذا الألم على القلب انبعثت منه في القلب حالة تسمّى إرادة وقصداً إلى فعل له تعلّق بالحال والماضي والمستقبل، فتعلّقه بالحال هو ترك الذنب [الإقلاع]، وتعلّقه بالمستقبل هو العزم على ترك الذنب في المستقبل (نفي الإصرار)، وتعلّقه بالماضي بتلافي ما فات).

خطورة الإصرار على صغائر الذنوب في الأحاديث و الآثار

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ».

وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا: «كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا فَأَجَّجُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا».

[رواه الإمام أحمد (صحيح: صحيح الترغيب ٢٤٧٠)].

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا».

[رواه ابن ماجه وغيره، (صحيح: السلسلة الصحيحة رقم ٥١٣)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا.. وَاغْفِرُوا يَغْفِرْ اللهُ لَكُمْ.. وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ.. وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

[رواه أحمد والبيهقي في «الشعب»، (صحيح: الصحيحة ٤٨٢)].

عَنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا». [صحيح البخاري].

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي

أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْمُوبِقَاتِ». قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ: (يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ). [صحيح البخاري].

▪قال الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «إنَّ المؤمِنَ يَرى ذُنوبَهُ كأنَّه قاعِدٌ تحتَ جَبَلٍ يَخافُ أنْ يقعَ عَليهِ». قال ابن أبي جمرة: (السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور، فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه عظم الأمر عليه، والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة، وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان، فلا يأمن العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة، يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله

السيء...).

قال المحبُّ الطَّبري: (إنَّما كانت هذه صفة المؤمن لشدَّة خوفه مِن الله ومِن عقوبته؛ لأنَّه على يقين مِن الذنب، وليس على يقينٍ من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله؛ فلذلك قلَّ خوفُه، واستهان بالمعصية).

وقال ابن أبي جمرة: السَّبب في ذلك أنَّ قلب الفاجرِ مُظلمٌ، فوُقوع الذنبِ خفيفٌ عنده، ولهذا تجد مَن يقع في المعصيةِ إذا وُعظ؛ يقول: هذا سهل!).

قال: (ويُستفاد من الحديث أنَّ قلَّة خوف المؤمن ذُنوبَه، وخِفَّتَه عليه يدلُّ على فُجوره....).

وقال ابن بطال: (يُؤخذ منه أنه ينبغي أن يكونَ المؤمن عظيمَ الخوف من الله – تعالى – مِن كل ذنبٍ – صغيرًا كان أو كبيرًا –؛ لأن الله – تعالى – قد يُعذِّب على القليلِ؛ فإنه لا

يُسأل عما يَفعل - سبحانه وتعالى-). [الفتح (١١/ ١٠٥)].

لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع توبة واستغفار

▪ مما اتفق الفقهاء عليه - كما في: «الفروق» (٤/ ٦٧) للعلامة القرافي- رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن الصغيرة تعظم مع الإصرار عليها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾).

▪ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلماء -رحمهم الله-: والإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة.

وروي عن عمر، وابن عباس وغيرهما - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -: «لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار»، معناه أن الكبيرة تمحى بالاستغفار، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار). [«شرح مسلم» (٢ / ٨٢)].

▪ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في [«شرح الأربعين» (٥٣٤)]: (فالمحسن هو من لا يأتي بكبيرة إلا نادرا ثم يتوب منها ومن إذا أتى بصغيرة كانت مغمورة في حسناته المكفرة بها ولا بد أن لا يكون مصرا عليها كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾. وروي عن ابن عباس أنه قال: «لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار». وروي مرفوعًا من وجوه ضعيفة. وإذا صارت الصغائر كبائر بالمداومة عليها، فلابد للمحسنين من اجتناب المداومة على الصغائر حتى يكونوا مجتنبين لكبائر الإثم والفواحش) ا.هـ.

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا أَصَرَّ عَلَى الصَّغِيرَةِ صَارَتْ كَبِيرَةً وَإِذَا تَابَ مِنْهَا غُفِرَتْ... وَإِذَا تَابَ تَوْبَةً صَحِيحَةً غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، فَإِنْ عَادَ إلَى الذَّنْبِ فَعَلَيْهِ أَنْ

يَتُوبَ أَيْضًا. وَإِذَا تَابَ قَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ أَيْضًا). انتهى من [مجموع الفتاوى (١١/ ٧٠٠)].

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فإن الزنا من الكبائر، وأما النظر والمباشرة فاللمم منها مغفور باجتناب الكبائر، فإن أصر على النظر أو على المباشرة صار كبيرة، وقد يكون الإصرار على ذلك أعظم من قليل الفواحش، فإن دوام النظر بالشهوة وما يتصل به من العشق والمعاشرة والمباشرة قد يكون أعظم بكثير من فساد زنا لا إصرار عليه). [مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٩٣)].

▪ قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (الإصرار على الصغيرة قد يساوي إثمه إثم الكبيرة أو يربى عليها). [إغاثة اللهفان (٢/ ١٥١)].

▪قال الإمام العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (إذا أصر الإنسان

على الصغيرة وصار هذا ديدنه صارت كبيرة بالإصرار لا بالفعل، مكالمة المرأة على وجه التلذذ حرام وليس بكبيرة، ولكن إذا أصر الإنسان عليه وصار ليس له هم إلا أن يشغل الهاتف على هؤلاء النساء ويتحدث إليهن صار كبيرة، فالإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة من حيث الإصرار؛ لأن إصراره على الصغيرة يدل على تهاونه بالله عز وجل، وأنه غير مبال بما حرم الله) انتهى بمعناه.

[لقاء الباب المفتوح (١٧٢/ ٥)].

▪ قال العلامة الْقَرَافِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصَّغِيرَةُ لَا تَقْدَحُ فِي الْعَدَالَةِ وَلَا تُوجِبُ فُسُوقًا، إلَّا أَنْ يُصِرَّ عَلَيْهَا فَتَكُونُ كَبِيرَةً... فَإِنَّهُ لَا صَغِيرَةَ مَعَ إصْرَارٍ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ كَمَا قَالَ السَّلَفُ... وَيَعْنُونَ بِالاستغفار التَّوْبَةَ بِشُرُوطِهَا، لَا طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مَعَ بَقَاءِ الْعَزْمِ) انتهى.

[الموسوعة الفقهية (٣٤ / ١٥٦)].

▪قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله! وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله).

▪ قال عوام بن حوشب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أربع بعد الذنب شر من الذنب: الاستصغار والاغترار والاستبشار والإصرار).

آثار وأضرار الإصرار على الصغائر

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال أبو عبيدة: (خطوات الشيطان: [هي المحقّرات من الذنوب])، وقال بعض السلف: (المعاصي بريد الكفر)، وقال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (صغائر المعاصي تجر بعضها إلى بعض حتى تفوت أصل السعادة...).

▪ السقوط في مستنقع التهاون بصغار المعاصي؛ قد يشغل النفس عن التوبة، ويكسّلها عن القيام بالأعمال المكفرة للذنوب، نقل الإمام ابن كثير عن الأعمش في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [البقرة: من

الآية٨١)]: (الذي يموت على خطاياه من قبل أن يتوب).

وقال أبو أيوب الأنصاري: (إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها، وينسى المحقَّرات، فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مشفقًا حتى يلقى الله آمنًا). [أخرجه أسد بن موسى في الزهد، فتح الباري (١١/ ٣٧٧)].

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل لا يُلقي لها بالاً؛ يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً؛ يهوي بها في جهنم».

▪ قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: ([لا يلقي لها بالاً]، أي: لا يتأملها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظن أنها تؤثر شيئًا، وهو من نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ

عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]).

▪ ومِن أخطر أضرار التهاون بصغائر الذنوب؛ ما تصيب به القلبَ من قسوة، فكلما ارتكب العبد سيئة ولم يتب منها نقص إيمانه، واسود قلبُه، وزادت قسوتُه، فلا يخشع لموعظة، ولا يستجيب لناصح، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب؛ صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذَكَر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾» [حسن: صحيح الجامع (١٦٧٠)].

▪ قال الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تواتر الصغائر عظيم التأثير في سواد القلب، وهو كتواتر قطرات الماء على الحجر، فإنه يحدث فيه حفرة لا محالة، مع لين الماء وصلابة الحجر) اهـ.

ولقد أحسن من قال: (لا تحقرنَّ صغيرةً إنَّ الجبالَ من الحصى).

▪ جاء في بعض الآثار أن رجلاً من بني إسرائيل قال: (يا ربّ! كم أعصيك ولا تعاقبني. فقال الله تعالى، أو قيل له، يا عبدي كم أعاقبك ولا تشعر)؛ أي: بقسوة القلب، قال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [صيد الخاطر]: (أعظم المعاقبة أن لا يحسّ المعاقَبُ بالعقوبة، وأشد من ذلك أن يقع السرورُ بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب، ومَن هذه حاله لا يفوز بطاعة).

▪ ومن رحمة الله تعالى بنا أنه بشّرنا بمغفرة الصغائر إذا اجتنبنا الكبائر، وشرع لنا مكفِّرات كثيرة للذنوب، وجعل الحسنات تمحو السيئات؛ لكن ينبغي ألا ننسى أنه سبحانه حذّرنا في الوقت نفسه من التهاون بصغائر الذنوب،

وإهمال مجاهدة النفس على تركها والتوبة منها، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إياكم ومحقَّرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه...».

▪ وإذا كان بعض الناس يتهاون في ارتكاب هذه الذنوب اعتماداً على أنها مغفورة بالأعمال المكفّرة كالصدقة وغيرها، فهل سأل نفسه عن تلك الأعمال، من صلاة وصوم وحج، قُبلت أم لا؟ تكفي لمحو سيئاته أم لا؟ من يدري..! وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إن الشيطان قد يئس أن تُعبد الأصنام في أرض العرب، ولكنه سيرضى منكم بدون ذلك، بالمحقَّرات، وهي الموبقات يوم القيامة، اتقوا الظلم ما استطعتم، فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة يرى أنها ستنجيه، فما زال عبد يقول يا ربّ! ظلمني عبدك مظلمة. فيقول: امحوا من حسناته. وما يزال كذلك حتى ما

يبقى له حسنة؛ من الذنوب...» [صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢١)]. ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يا عائشة، إياك ومحقَّرات الذنوب، فإن لها من الله طالبـًا» [السلسلة الصحيحة (٥١٣)].

التحذير من الاغترار بمكفرات الذنوب

يتكرر الحديث في الخطب والمواعظ عن الكفارات ولا غرو في ذلك فإن من فضل الله على المسلمين ان شرع لهم من الأعمال والقُربات ما يمحو الخطايا ويكفر الذنوب. والأحاديث النبوية في هذا الشأن كثيرة والتى تتردد على سمع المسلم فيُحس بفضل الله تعالى عليه عندما يدرك أن له مخرجا مما يقع فيه من معاص وسيئات، وطريقا للعودة إليه عز وجل. والمقال الذى بين أيدينا يتناول ما ورد من تحذير صريح من الاغترار بما يعمله المسلم من مكفرات الذنوب. فكما يقول أهل العلم فإن الاغترار بها ربما أدى إلى استسهال الذنوب والاستهانة بها لدى البعض مما قد

يجر إلى اعتياد المعصية. بل قد يُفضي إلى الإصرار عليها والعياذ بالله. ولا شك أنه عندما يكون هناك حديث عن مكفرات الذنوب ويتخلله تحذير من الاغترار بها، وتذكير بأن الله يأخذ بالذنوب وأن أخذه أليم شديد، يكون ذلك، في الواقع، تطبيق لمبدأ الاعتدال والتوازن، فالوسطية ضرورة دينية والإسلام كلٌ لا يتجزأ. ومعلوم أن المسلم من المفترض ان يعيش بين الخوف والرجاء فتراه يرجو العفو والمغفرة من ربه، وفى نفس الوقت يخاف ذنوبه عندما يسمع آيات وأحاديث الوعيد. فينزجر عن التمادى في اقتراف السيئات ويقبل على الاستغفار والتوبة. وهذه بداية الطريق للعودة إلى الله عز وجل.

الحديث الذي ورد فيه التحذير من الاغترار بالمكفرات: روى البخاري في كتاب الرقاق [طبعة

استانبول، (ج.٧، ص. ١٧٤)]، الحديث الذي قال فيه: أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: رأيت النبي ﷺ توضأ وهو في هذا المجلس فأحسن الوضوء ثم قال (أي النبي ﷺ): «من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غُفر له ما تقدم من ذنبه»، قال: وقال النبي ﷺ: «لا تغتروا». وقد تعرض الحافظ ابن حجر لهذا الحديث في كتاب الوضوء، وشرحه قائلاً: (لا تغترو: أي فتستكثروا من الأعمال السيئة بناءً على أن الصلاة تكفرها، فإن الصلاة التى تُكفر بها الخطايا هي التي يقبلها الله وأنَّى للعبد الاطلاع على ذلك). ثم توسع في شرح الحديث في موضعه من كتاب الرقاق، وذكر أوجها أخرى في شرح «لا تغتروا»، فقال: (إن ما يُكفر بالصلاة هي الصغائر فلا تغتروا فتعملوا الكبيرة بناءً على تكفير

الذنوب بالصلاة فإنه خاص بالصغائر.

أو لا تستكثروا من الصغائر فإنها بالإصرار تُعطى حكم الكبيرة فلا يُكفرها ما يُكفر الصغيرة.

أو أن ذلك خاص بأهل الطاعة، فلا يناله من هو مرتبك في المعصية). أي واقع في المعصية لا يستطيع الخلاص منها. وأشار ابن حجر في هذا الموضع إلى رواية أخرى عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في تكفير الصلاة للذنوب، قُيِّد التكفير فيها بعدم غشيان الكبائر. وهي عند مسلم بنفس المعنى. وأورد مسلم في صحيحه [كتاب الطهارة] كذلك حديثين ارتبط تكفير الذنوب فيهما باجتناب الكبائر.

وكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخشى الاغترار بما ورد من أن الصلاة تُكفر الذنوب. ففي رواية عند البخاري ومسلم بسياق متقارب، أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما توضأ قال: «ألا أحدثكم

حديثا لولا آيَـةٌ في كتاب الله ما حدثتكموه إني سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يتوضأ رجل يُحسن وضوءه ويصلي الصلاة إلاَّ غُفر له ما بينه وبين الصلاة التى تليها».». قَالَ عُرْوَةُ: والآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾. [سورة البقرة: ١٥٩]. قال ابن حجر: (وإنما كان عثمان يرى ترك تبليغهم ذلك خشية عليهم من الاغترار، لولا الآية المذكورة).

مُحَقِّرات الذنوب: ويأتي ضمن هذا السياق التحذير من استصغار الذنوب والاستهانة بها. فقد بوّب البخاري لذلك بقوله: (باب ما يُتقى من مُحقرات الذنوب). وأورد في ذلك قول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا نَعُدُّها على عهد النبي

ﷺ من الموبقات». قال البخاري: (يعني بذلك المهلكات). وفي شرحه لهذا الباب استشهد ابن حجر بحديثين. الأول أخرجه الإمام أحمد، مرفوعًا، حذر الرسول ﷺ فيه من مُحقرات الذنوب وجاء في آخره: «... وإن مُحقرات الذنوب متى يُؤخذ بها صاحبها تهلكه». والثاني عند الإمام أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وعند النسائي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة إيّاك ومُحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبًا». وروى البخاري، في (باب التوبة)، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، الحديث الذي يُبين الفرق بين المؤمن والفاجر في مدى الإحساس بالذنوب، قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا».

يقول الحافظ ابن حجر، معلقا على هذا الحديث: (وحاصلهُ أنَّ المؤمنَ يغلبُ عليهِ الْخوفُ لقوَّة ما عندهُ منَ الْإِيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأنُ المسلمِ أَنَّهُ دائمُ الخوفِ وَالمراقبة يستصغرُ عملهُ الصَّالح ويخشى من صغير عمله السيء). وهكذا يكون المؤمن عظيم الخوف من الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير، وذلك على عكس الفاجر فإنه قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية. ويقول ابن قيم الجوزية في هذا الصدد: (وإنما يَعظُم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله تعالى، فإذا نظر إلى عظمة من عصى، رأى الصغيرة كبيرة).

المُجاهرة والإصرار: وكذلك جاء التحذير من الإصرار على الذنوب والمجاهرة بها. يقول الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥]. يقول أهل العلم: إن صغائر الذنوب إذا كثُرت صارت كبارا مع الإصرار. وإن المرء ليقترف الذنب الصغير مستهيناً به مصرا عليه مستأنساً به، فتزول بذلك هيبة الشريعة من نفسه، وقد يتجرأ بعد ذلك على ارتكاب الكبائر فيكون من الهالكين.

والمجاهرة بالمعصية طامة قد يُبتلى بها بعض المذنبين. روى البخاري ومسلم الحديث المعروف «كل أمتي معافى إلاّ المجاهرين، وإن من المجاهرة [وفي قراءة أخرى، في صحيح البخاري، المَجَانة بدل المجاهرة] أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يُصبح وقد ستره الله، فيقول يا

فلان عملت البارحة كذا....» إلى آخر الحديث. وقد أورد ابن حجر أقوالا لأهل العلم في شرحه لهذا الحديث، من ذلك قوله: (إن في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالح المؤمنين وفيه ضرب من العناد لهم. وفي قوله: «وإن من المجانة»، حسب الرواية الأخرى، ما يفيد أن الذي يُجاهر بالمعصية يكون من المُجان. والمجانة مذمومة شرعا وعُرفا. فيكون المجاهر بالمعصية قد ارتكب محذورين إظهار المعصية وتلبسه بفعل المُجان).

وقد ابتليت الأمة في وقتنا الحاضر بمن أصروا على معاصيهم وجاهروا بها إلى درجة فيها من الوقاحة والجرأة على الدين الشيء الكثير، وذلك من خلال ما يُبث ويُشاهد من مجون وخلاعة عبر القنوات الفضائية وعبر

ما يُشاهد ويُقرأ في بعض وسائل التواصل الإجتماعي مما يتنافى تماما مع شريعتنا بل ومع الفطرة والطبع السوي).

[«التحذير من الاغترار بمكفرات الذنوب» للدكتور سعود ابن حمد الخثلان حفظه الله].

معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾

(قبس من كتاب الله).

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾.

✍ مهما اسوَّد ماضيك..؛ بالاستغفار تُشرق الروح من جديد، ويحلو حاضرك، ويزهر مستقبلك..

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

▪ قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾، يقول: ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظُلْم نفسه، ومراجعته ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبَه وتذهب جرمه..).

▪ قال الإمام المفسر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (... ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يعني بالتوبة، فإن الاستغفار باللسان من غير توبة لا ينفع...).

▪ قال الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (يخبر تعالى عن كرمه وجوده: أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنب كان).

▪ قال الإمام العلامة البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ أي: يتب إليه ويستغفره..).

▪ قال العلامة المفسر الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمراد بالاستغفار التوبة وطلب العفو من اللهِ عمّا مضى من الذنوب قبل التوبة..).

▪ قال العلامة الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفارا تاما

يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة. فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة، ويوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه، لأنه قد غفره، وإذا غفره غفر ما يترتب عليه).

▪قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الاستغفار فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة، فالمفرد: كقول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ [نوح: ١٠]، وكقول صالح لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦﴾ [النمل: ٤٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣]. والمقرون كقوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣]، وقول هود لقومه: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢]، وقول صالح لقومه: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]، وقول شعيب: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: ٩٠]، فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس أنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له،

ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم.

وحقيقتها وقاية شر الذنب، ومنه المغفر، لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفرا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]، فإن الله لا يعذب مستغفرًا، وأما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق؛ ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة:

الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

فهاهنا ذنبان: ذنب قد مضى، فالاستغفار منه: طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله، والرجوع إلى الله يتناول النوعين رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

وأيضا فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقا تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته، والتي توصله إلى مقصوده، وفيها فلاحه.

فهاهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة،

وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين، ولهذا جاء - والله أعلم - الأمر بهما مرتبا بقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل.

وأيضا فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم). [مدارج السالكين (١/ ٢٤٩-٢٥٠)].

الاستغفار بلا توبة هل ينفع صاحبه؟؟

الاستغفار دون إقلاع عن الذّنب فإنّه وإن كان أقلّ درجة لكن لا يُعدم العبد منه فائدة، لأنّه تعرّض بالدّعاء لنيل رحمة الله تعالى ومغفرته للذّنب.

والسّلف رحمهم الله قرّروا ونبّهوا أنّ مجرّد الاستغفار دون الإقلاع عن الذّنب أو العزم عليه ليس التّوبة الّتي وعد الله عليها بالمغفرة.

وبيانه أنّ الاستغفار درجات:

- أولاها: الاستغفار المقرون بالتّوبة وهي أعلاها، ومذهب أهل السّنّة الجزم بترتّب المغفرة على الاستغفار المقرون بالتّوبة للنّصوص المتوافرة على ذلك.

▪ قال الإمام العلامة ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالاستغفار التّامّ الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله أهله ووعدهم المغفرة.. وهو حينئذ توبة نصوح) [شرح الأربعين (٢/ ٤١٠)].

▪ الثّانية: الاستغفار بالقلب واللّسان من الذّنب لكن دون أن يقترن به توبة أو عزم على الإقلاع، وهذه أدنى من الّتي قبلها لكنّها محمودة.

وهي واقعة يقع فيها كثير من النّاس، فهو إذا واقع ذنباً لامته نفسه فيستغفر ويدعو الله أن يغفر له لكن لا يقارن ذلك عزمه على الإقلاع لضعف إيمانه وشدّة تعلّق قلبه بالذّنب، أو لغفلته عن التّوبة.

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن الاستغفار هو طلب المغفرة وهو من جنس الدّعاء والسؤال، وهو مقرون

بالتوبة في الغالب ومأمور به، لكن قد يتوب الإنسان ولا يدعو، وقد يدعوا ولا يتوب) وساق حديث أبي هريرة المتقدّم «...علم عبدي أنّ له ربّاً يغفر الذّنب ويأخذ به، أشهدكم أنّي قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء»، ثمّ قال: (والتّوبة تمحو جميع السّيئات،... وأمّا الاستغفار بدون التّوبة فهذا لا يستلزم المغفرة، ولكن هو سبب من الأسباب). [منهاج السّنّة (٦/ ٢١٠-٢١٢)].

▪ الثّالثة: الاستغفار العام باللّسان دون القلب، لكن بدون توبة من ذنب معيّن أو إقلاع عنه.

▪ قال الإمام العلامة ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإن قال بلسانه: أستغفر الله وهو غير مقلع بقلبه فهو داعٍ لله بالمغفرة كما يقول: اللّهمّ اغفر لي، وهو حسنٌ وقد يُرجى له الإجابة، وأمّا من قال: توبة الكذّابين فمراده أنّه ليس بتوبة كما

يعتقده بعض النّاس، وهذا حق، فإنّ التّوبة لا تكون مع الإصرار). [جامع العلوم والحكم (٢/ ٤١٠)].

▪ وقال: (ومجرّد قول القائل: اللّهمّ اغفر لي طلب للمغفرة ودعاء بها، فيكون حكمه حكم سائر الدّعاء إن شاء أجابه وغفر لصاحبه، لا سيّما إذا خرج من قلب منكسر بالذّنب وصادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصّلوات.

ويُروى عن لقمان عليه السّلام أنّه قال لابنه: يا بنيّ عوّد لسانك: اللّهمّ اغفر لي فإنّ لله ساعات لا يردّ فيها سائلاً.

وقال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي اسواقكم وفي مجالسكم وأينما كنتم فإنّكم لا تدرون متى تنزل المغفرة). [جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠٨)].

منقول من [ملتقى أهل الحديث].

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (... وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من داع يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا كان بين إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له من الجزاء مثلها، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها»، قالوا: يا رسول الله، إذا نكثر، قال: «الله أكثر»، فمثل هذا الدعاء قد تحصل معه المغفرة، وإذا لم تحصل فلا بد أن يحصل معه صرف شر آخر أو حصول خير آخر، فهو نافع كما ينفع كل دعاء. وقول من قال من العلماء: (الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين)، فهذا إذا كان المستغفر يقوله على وجه التوبة أو يدعي أن استغفاره توبة، وأنه تائب بهذا الاستغفار، فلا ريب أنه مع الإصرار لا يكون تائبا، فإن التوبة والإصرار

ضدان: الإصرار يضاد التوبة، لكن لا يضاد الاستغفار بدون التوبة). اهـ. [مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٦)].

▪ قال العلامة الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في [فتح الباري]: (رأيت في الحلبيات للسبكي الكبير: الاستغفار طلب المغفرة، إما باللسان، أو بالقلب، أو بهما، فالأول فيه نفع لأنه خير من السكوت، ولأنه يعتاد قول الخير. والثاني نافع جدا. والثالث أبلغ منهما لكنهما لا يمحصان الذنب حتى توجد التوبة، فإن العاصي المصر يطلب المغفرة، ولا يستلزم ذلك وجود التوبة منه).اهـ. [فتح الباري (١٣/ ٤٧٢)].

▪ والذي يظهر أن استغفار اللسان ينفع صاحبه إن اقترن ببغض المعصية، وانزعاج القلب منها، والرغبة في الإقلاع عنها خوفا من الله تعالى، مع صدق القلب في توجهه إلى

الله، وتعلقه برجاء رحمته؛ بخلاف من حرك لسانه بالاستغفار وقلبه غافل عن الله، متعلق بالمعصية حبًا ورغبةً وعزيمة.

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد يقال على هذا الوجه: الاستغفار هو مع التوبة، كما جاء في حديث: «ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم مائة مرة» وقد يقال: بل الاستغفار بدون التوبة ممكن واقع، وبسط هذا له موضع آخر؛ فإن هذا الاستغفار إذا كان مع التوبة مما يحكم به عام في كل تائب، وإن لم يكن مع التوبة فيكون في حق بعض المستغفرين الذين قد يحصل لهم عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحو الذنوب كما في حديث البطاقة، بأن قول: لا إله إلا الله ثقلت بتلك السيئات؛ لما قالها بنوع من الصدق والإخلاص الذي يمحو السيئات، وكما غفر

للبغي بسقي الكلب لما حصل في قلبها إذ ذاك من الإيمان). اهـ. [مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٨)].

▪ هل ينفع الاستغفار بلا توبة؟ الشيخ سليمان الرحيلي -حفظه الله-:

هل ينفع الاستغفار بلا توبة؟

* يرى بعض العلماء أنّ الاستغفار طريق التوبة وأنه لا ينفع مع الإصرار على الذنب؛ فلا ينفع إلا بتوبة، لأنّ الطريق إذا لَمْ يوصِل إلى المقصود فإنه غير نافع؛ فبعض أهل العلم يقول: الاستغفار طريق التوبة، فلابد أن تكون معه توبة حتى ينفع.

* ويرى بعض أهل العلم أنّ الاستغفار ينفع بلا توبة؛ بدليل وروده مفردًا فِيْ النصوص، وإفراده يدلّ على نفعه بذاته.

أين تظهر فائدة المسألة؟

تظهر فائدة المسألة فيمن فعل ذنبًا وأصرّ عَلَيه واستغفر. إنسان يشرب الدخان، وشرب الدخان ذنب، ويكاد يَكون عَلَيه اليوم اتفاق أهل العلم الَّذِينَ يؤخَذ برأيهم فِيْ الفتوى أنه حرام. طيب؛ يشرب الدخان وبعدما ينتهي من السيجارة يقول: أستغفر الله، لكن هُوَ عازم أنه سيشرب بعد ساعة أو ساعتين. فهو مصرّ؛ هنا وُجد الاستغفار ولم توجَد التوبة. إن قلنا: إنّ الاستغفار لا ينفع إلا مع توبة؛ فهٰذا الاستغفار ضائعٌ لا ينفعه. وإن قلنا إنّ الاستغفار ينفع من غير توبة؛ فهٰذا الاستغفار ينفعه. والتحقيق من أقوال أهل العلم فِيْ المسألة: أنّ الاستغفار لا يخلو من حالَين:

الحالة الأولى: أن يَكون من باب استغفار الغير للمذنب. مثل استغفار الملائكة لمن قعد فِيْ المصلى ما

لَمْ يُحدِث؛ «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه». ومثل استغفار الولد لأبيه؛ وهٰذا ينفع بلا توبة؛ والدليل على ذٰلك أنه مطلوب للميت، والمعلوم انّ الميت لا يتوب. النبي ﷺ لمّا مات النجاشي نعاه لأصحابه فِيْ اليوم الَّذِي مات فيه وقال: «استغفروا لأخيكم» وقَدْ مات! وكان يقف على القبر ويقول: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل» وقَدْ مات، لا يُتصوّر منه أن يتوب. ومن وجه آخر: أنه طُلِب شرعًا، ومَا دام أنه طُلِبَ شرعًا فلابد أن يَكون نافعًا.

قاعدة: ما طلب الله منّا شيئًا إلا وهو نافع. فإنّ الله لَمْ يأمرنا تشديدًا علينا، وإنّما أمرنا بما فيه المصلحة العاجلة والآجلة.

الحالة الثانية: استغفار المذنِب بنفسه. والصحيح أنه

ينفع صاحبه بشرط أن يَكون نابعًا من خوف الله، فيكون صادرًا من خشية الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالى- حقًا وصدقًا.

فيكون حال العبد بين حالين: حال الخوف من الله وحال الضعف مع الشهوة، فإذا تذكَّر الخوف من الله استغفر، وإذا غلبته الشهوة فَعَلَ، فهٰذا ينفعه. أما الاستغفار باللسان من غير أن يَكون نابعًا من خشية الله؛ فهٰذا استغفار الكذابِين، الَّذِي يقول بلسانه استغفر الله وليس فِيْ قلبه استشعار للذنب الَّذِي يفعل ولخوف المعاقبة؛ فهٰذا يكذب فِيْ استغفاره ولا ينفعه.

إذن نقول: إنّ القول الوسط فمن أقوال أهل العلم فِيْ استغفار المذنب من غير توبة: أنّ ذٰلك ينفعه إذا كان ذٰلك نابعًا من خشية الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالى-. أما إذا كان باللسان فقط دون استشعار القلب فإنه لا ينفع صاحبه.

ولذلك قال الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فإنّ الله تعالى قد يغفر له إجابة لدعائه؛ وإن لَمْ يتب»، قال: «فإذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال» فجمع الإنسان بين التوبة والاستغفار كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥]. فجمع هنا بين الاستغفار والتوبة، فالاستغفار: أنهم ذكروا الله فاستغفروا، والتوبة: أنهم لَمْ يصروا، فجمعوا بين التوبة والاستغفار. وقال النبي ﷺ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه فِيْ اليوم أكثر من سبعين مرة» [رواه البخاري فِيْ الصحيح]. فدلّ ذٰلك على أنّ الجمع بين التوبة والاستغفار كمالٌ للعبد إذا وقع فِيْ

الذنب[١].

■ قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رحمه الله تعالى: (والله تعالى إنما يغفر للعبد إذا كان وقوع الذنب منه على وجه غلبة الشهوة وقوة الطبيعة فيواقع الذنب مع كراهته له من غير إصرار في نفسه فهذا ترجى له مغفرة الله وصفحه وعفوه لعلمه تعالى بضعفه وغلبة شهوته له، وأنه يرى كلَّ وقتٍ ما لاَ صَبر له عليه، فهو إذا واقع الذنب واقعه مواقعة ذليلٍ خاضعٍ لربه خائف مختلج في صدره شهوة النفس للذنب وكراهة الإيمان له، فهو يُجِيبُ داعي النفْس تارة وداعي الإيمان تارات.

---

(١) المصدر: شرح الوصِيَّة الصُّغرَى لشيخ الإسلام ابن تيمية/ شرح فضيلة الشيخ سُليمَان بنُ سَليمِ اللهِ الرُّحيليّ.
http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=34588

فأما مَن بنى أمره على أن لا يَقِف عن ذنب ولا يُقَدِّم خوفًا ولا يَدَع للهِ شهوة وهو فَرِحٌ مسرور يضحك ظهراً لبطن إذا ظَفِرَ بالذَّنْبِ فهذا الذي يُخَاف عليه أن يُحَال بينه وبين التوبةِ، ولا يُوَفَّق لَهَا، فإنه مِنْ معاصيه وقبائحه على نَقْدٍ عَاجِلٍ يتقاضاه سَلَفًا وتعجيلاً وَمِنْ توبته وإيابه ورجوعه إلى الله على دَيْنٍ مؤجَّلٍ إلى انقضاء الأجل، وإنما كان هذا الضَّرْبُ من الناس يُحَالُ بينهم وبين التوبة غالبًا لأنَّ النزوعَ عن اللَّذَّاتِ والشَّهَوات إلى مُخَالَفَةِ الطبع والنفْسِ والاستمرار على ذلك شديدٌ على النفْس صَعبٌ عليها أثقلُ من الجبال ولاسيما إذا انضاف إلى ذلك ضَعْفُ البصيرة وَقِلَّةِ النصيب من الإِيمَانِ فنفْسه لا تُطَوِّع له أنْ يَبِيعَ نَقْداً بنسيئةٍ ولا عاجلاً بآجِلٍ كما قال بعضُ هؤلاءِ وقد سُئِلَ: (أيُّمَا أحَبُّ إليك، دِرْهَمٌ اليومَ أو دينارٌ غداً؟!)،

فقال: (لاَ هذا ولا هذا، ولكن رُبع دِرْهَمٍ مِنْ أوَّلِ أمس!)، فحرام على هؤلاءِ أنْ يُوَفَّقُوا للتوبةِ إلاَّ أنْ يَشَاءُ اللهِ). [مفتاح دار السعادة (١/ ٢٨٤)].

النصوص الشرعية تدل وتحث وترغب في التوبة والاستغفار وإن تكرر الذنب ولا تدل ولا تحث على تكرار الذنب.. فشتان شتان

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه -تبارك وتعالى-، قال: «أذنب عبد ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال الله -تبارك وتعالى-: «أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب»، ثم عاد فأذنب، فقال: أيْ رب، اغفر لي ذنبي، فقال -تبارك وتعالى-: «أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب»، ثم عاد فأذنب، فقال: أيْ رب، اغفر لي ذنبي، فقال -تبارك وتعالى-: «أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، قد غفرت لعبدي،

فليفعل ما شاء».». [رواه البخاري ومسلم].

المراد والمقصود بالاستغفار في هذا الحديث العظيم، استغفار النادم التائب المقلع عن ذنبه العازم أن لا يعود إليه، وهذه هي حقيقة التوبة.

▪قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على ألا يعاوده في المستقبل). [مدارج السالكين (١ / ١٩٩)].

(معنى قوله تعالى: «قد غفرت لعبدي، فليفعل ما شاء»، وفي رواية: «اعمل ما شئت، فقد غفرت لك»).

▪ قال الإمام القرطبي في [المفهم]: (يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه؛ لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت

معناه في القلب مقارنا للسان، لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم، فهو ترجمة للتوبة، ويشهد له حديث: «خياركم كل مفتن تواب»، ومعناه الذي يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة لا من قال: أستغفر الله بلسانه، وقلبه مصر على تلك المعصية، فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى الاستغفار). [فتح الباري (١٣/ ٥٧٥)].

▪ قال الإمام الرباني النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (معناه فقد غفرت لك ما دمت تذنب ثم تتوب). اهـ.

▪ قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فليس في هذا إطلاق وإذن منه سبحانه له في المحرمات والجرائم، وإنما يدل على أنه يغفر له ما دام كذلك إذا أذنب تاب واختصاص هذا العبد بهذا، لإنه قد علم أنه لا يصر على

ذنب، وأنه كلما أذنب تاب حكم يعم كل من كانت حاله حاله..). [الفوائد (١٤)].

▪ قال الإمام العلامة ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمعنى: ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر، والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار).

▪ قال الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «اعمل ما شئت»، معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك). [فتح الباري (١٣/ ٥٧٦)].

▪ قال علماء اللجنة الدائمة برئاسة الإمام العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (... أما معناه فلا إشكال فيه وهو أن العبد ما دام يذنب ثم يستغفر استغفار النادم التائب المقلع من ذنبه العازم أن لا يعود فيه فإن الله يغفر له، ولا يُفهم من قوله: «فليفعل ما شاء» إباحة المعاصي والإثم، وإنما المعنى هو

ما سبق من مغفرة الذنب إذا استغفر وتاب). [مجلة البحوث الإسلامية (ج ٥٥ / ص٨١-٨٣)].

▪ قال العلامة الفقيه العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله سبحانه: «فليعمل ما شاء»، أي: فليعمل ما شاء من الذنب والتوبة منه، فكلما أذنب الإنسان وتاب، فإن الله يتوب عليه وإذا عاد إلى الذنب فإن التوبة الأولى لا تنخرم ولا تنهدم، لكن يجب أن يجدد الذنب الثاني توبة، فإذا جدد التوبة تاب الله عليه، فقوله: «فليعمل ما شاء» ليس المعنى: فليعمل ما شاء من المعاصي والذنوب، وإنما فيعمل ما شاء من العمل الذي كان يناجي الله تعالى به). [شرح البخاري (١١/ ٤٣٨)].

▪ بوَّب الإمام الرباني النووي رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الحديث قوله: [باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب

والتوبة].

وقال في شرحه: (هذه المسألة تقدمت في أول كتاب التوبة، وهذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة لها، وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر ، وتاب في كل مرة: قبلت توبته ، وسقطت ذنوبه ، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها: صحت توبته). [شرح مسلم (١٧/ ٧٥)].

فائدة عزيزة من هذا الحديث

▪ قال العلامة الحافظ ابن حجر: (قال القرطبي: (وفائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائه؛ لأنه انضاف إلى ملابسة الذنب نقض التوبة؛ لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها؛ لأنه انضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله والاعتراف

بأنه لا غافر للذنب سواه).). [فتح الباري (١٣/ ٥٧٦)].

▪ كذلك الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على حديث: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ...» قال: (ولم يجيء هذا الفرح في شيء من الطاعات سوى التوبة، ومعلوم أن لهذا الفرح تأثيراً عظيماً في حال التائب وقلبِه، ومزيدُه لا يُعبَّر عنه.

وهو من أسرار تقدير الذنوب على العباد؛ فإن العبد ينال بالتوبة درجة المحبوبية، فيصير حبيباً لله؛ فإن الله يحب التوابين، ويحب العبد المفتن التواب). [مدارج السالكين (١/ ٣٠٦)].

▪قال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: (... وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خياركم

كل مفتن تواب». [يعني كلما فُتِن بالدنيا تاب]. قيل: فإذا عاد؟ قال: «يستغفر الله ويتوب»، قيل: فإن عاد؟ قال: «يستغفر الله ويتوب»، قيل: فإن عاد؟ قال: «يستغفر الله ويتوب»، قيل: حتى متى؟ قال: «حتى يكون الشيطان هو المحسور».

وخرج ابن ماجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». حسنه المحدث الألباني رحمه الله في [صحيح ابن ماجه (٣٤٢٧)].

▪ وقيل للحسن رحمه الله: ألا يستحيي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود، فقال: «ودَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذا، فلا تملوا من الاستغفار».

▪ وروي عنه أنه قال: «ما أرى هذا إلا من أخلاق المؤمنين يعني أن المؤمن كلما أذنب تاب».

▪... وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: (أيها الناس من ألمَّ بذنب فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال وإن الهلاك في الإصرار عليها).

ومعنى هذا أن العبد لا بد أن يفعل ما قدر عليه من الذنوب كما قال النبي ﷺ: «كُتب على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة» [رواه مسلم].

ولكن الله جعل للعبد مخرجا مما وقع فيه من الذنوب ومحاه بالتوبة والاستغفار، فإن فعل فقد تخلص من شر الذنوب وإن أصر على الذنب هلك).اهـ [جامع العلوم والحكم (١/ ١٦٤– ١٦٥)] بتصرف.

الاستغفار أمان لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة

الاستغفار.. الاستغفار.. الاستغفار.. بالليل والنهار وفي الأسحار...

﴿ ...وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ...

الاستغفار في اللغة طلب المغفرة، وأصل [الغَفْر]: التغطية والستر؛ يقال: غفَر الله ذنوبه؛ أي: سترها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المَغفِرة معناها وقاية شرِّ الذنب بحيث لا يُعاقَب على الذنب، فمَن غُفر ذنبُه لم يعاقَب عليه)، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمَن غُفر له لم يُعذَّب، ومَن لم يُغفَر له عُذِّب، وهذا مذهب الصحابة والسلف والأئمة).

والاستغفار نوعان: إما مفرد، وإما مقرون بالتوبة.

قال الامام العلامة الرباني ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الاستغفار فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة ...

فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره ...

فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله...). [مدارج السالكين (١/ ٢٤٩- ٢٥٠)].

حث الله - تعالى - نبيه محمدًا ﷺ على الاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾

[النساء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]...

حث الأمة على الاستغفار:

عَدّ الإمام الحافظ ابن كثير أمر الله لنبيه ﷺ بالاستغفار تهييجاً للأمة على طلب المغفرة، إذ كيف يكون خطاب أفراد الأمة إذا أمر نبيها بالاستغفار؟. انظر [الفتح (١١/ ١٠١- ١٠٢)].

الأسوة والقدوة ﷺ كان من هديه وسنته ملازمة ومداومة الاستغفار:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين

مرة» [رواه البخاري].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم».». [رواه أبو داود، والترمذي، صحيح أبي داود (٥/ ٢٤٨)].

وعن الأغر المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» [رواه مسلم].

قيل في معنى قوله: «إنه ليغان على قلبي» عدة معانٍ، هي:

المراد بـ (الغين): الفتور عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمرٍ ما عدّ ذلك ذنبـًا، فاستغفر عنه، وحُكي هذا المعنى عن عياض.

وقيل: هو شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس.

وقيل: هي حالة كمثل جفن العين حين يسبل ليدفع القذى، فإنه يمنع الرؤية، فهو من هذه الحيثية نقص، وفي الحقيقة هو كمال. [فتح الباري (١١/ ١٠١)].

وجاء في كتاب [عون المعبود شرح سنن أبي داود]: (الغين أصله: الغيم ، قال في النهاية: غينت السماء ، تغان: إذا أطبق عليها الغيم. وقيل: الغين شجر ملتف ، أراد: ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر ، لأن قلبه أبدا كان مشغولا بالله تعالى، فإن عرض له وقتا ما عارض بشري يشغله عن أمور الأمة والملة ومصالحهما ، عد ذلك ذنبا وتقصيرا، فيفرغ إلى الاستغفار). [عون المعبود (ج٣/ ص ٤٤٠)].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما صلى النبي صلاة بعد أن نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».». [رواه البخاري ومسلم].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»؛ يتأول القرآن». [رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه].

الأسوة والقدوة ﷺ يستفتح النهار بالاستغفار..

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء رسول الله ﷺ ونحن جلوس، فقال: «ما أصبحت غداة قط، إلا استغفرت الله فيها مائة مرة».». [صحيح الجامع (٥٥٣٤)، الصحيحة (١٦٠٠)].

الأسوة والقدوة ﷺ يحث على الاستغفار وكثرته:

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن تسره صحيفته، فليكثر فيها من الاستغفار» [الصحيحة (٢٢٩٩)].

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا» [صحيح الجامع (٣٩٣٠)، هداية الرواة (٢٢٩٥)].

عن أبي يسار زيد مولى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان قد فر من الزحف» رواه [أبو داود، والترمذي، الصحيحة (٢٧٢٧)]، وفي رواية: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا، غفرت ذنوبه، وإن كان فارا من الزحف».

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. قَالَ الرَّبُّ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي» [حسن: رواه أحمد، وأبو يعلى، والحاكم. انظر صحيح الجامع (١٦٥٠)، الصحيحة (٦٠٤)].

أهمية الاستغفار في حق النساء

▪ نذكر النساء بأهمية الاستغفار في حقهن، وتأكده، لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما جاء النساء، قال: «يا معشر النساء! تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار»، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار! قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير» رواه مسلم.

▪ فكثرة اللعن، وجحد حق الزوج، والتمرد عليه، وفي رواية: «وتكثرن الشكاة» فكثرة الشكاية من أسباب دخول النساء النار، فأوصى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ النساء في المقابل بكثرة الاستغفار، قال: «يا معشر النساء! تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار».

ثمار وآثار الاستغفار

تكفير السيئات ورفع الدرجات

■ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

■ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم: ٨].

■ «هل من مستغفر فأغفر له» كما جاء في الحديث.

سعة الرزق

■ الاستغفار يسبب سعة الرزق: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

■ ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ

مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣].

قوة البدن

■ قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢]، فمن فوائده تقوية البدن.

دفع العذاب

كذلك فإن الاستغفار سبب في دفع العذاب

■ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

كذلك فإنه سبب للنجاة عند الورطات، والورطة هي النازلة التي لا مخرج منها، وكان عبد الله يونس عليه السلام يسبح ربه وينادي في الظلمات ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

■ من أساسيات الاستغفار اعتراف العبد بالذنب، سيد

الاستغفار من أسباب سيادته على بقية الأذكار أن فيه اعترافاً من العبد بالذنب، فإن العبد يقول: (أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي)، فيعترف بالنعمة، ويعترف بالذنب، وذلك هو سيد الاستغفار، فاعتراف العبد بذنبه مهم في الاستغفار.

جلاء القلب

الاستغفار يجلو القلب ويزيل عنه الران، يزيل سواده وغباره وقترته، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إن المؤمن إذا أذنب، نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه - يرجع القلب إلى حاله الأولى - وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه وذاك الرين الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]». ولذلك فإن الذي يستغفر ربه، يجلو قلبه وهذا معنى

حديث: «وإنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

▪ إذاً يغان على القلب، ويرين عليه ما يرين ويصبح عليه غشاوة، فالاستغفار يجلو ذلك كله، يجلو سحائب المعاصي وغبارها، ولا شك أن وقت الاستغفار مفتوح في كل حين، ولكن هناك بعض الأوقات التي يستحب فيها ويتأكد أكثر من أوقات أخرى...

▪ مع كل ما سبق فإن الاستغفار هو أحد الأشياء التي تُكفَر بها الذنوب، وليس هو كل شيء، فليس كل التكفير بسببه، فإن هناك أموراً يغفر الله سبحانه وتعالى بسببها، فمن الأشياء التي يغفر الله سبحانه وتعالى بسببها:

- التوبة.
- والاستغفار.

- ودعاء المؤمنين.
- ودعاء الملائكة.
- والمصائب.
- وفتنة القبر.
- وما يحصل في المحشر من الأهوال.
- وشفاعة النبي ﷺ.
- وشفاعة الملائكة.
- وشفاعة المؤمنين.
- وفي النهاية أرحم الراحمين، بعد أن يشفع الملائكة، والنبيون، والصالحون، يبقى أرحم الراحمين، فإن لم تمح الذنوب، ولا زالت السيئات أكثر، فإنه لا بد من تطهيرٍ بالنار والعياذ بالله.

▪ إذاً: فليبدأ الإنسان من البداية ويستغفر من الآن؛ بدلاً

من أن يترك المسألة لفتنة القبر، وأهوال المحشر، والصراط، ولفحات جهنم، من الآن يستغفر الله عز وجل ويتوب إليه، ويكثر من قول: أستغفر الله «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»، وتذكر هذه الوصية من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً».

[دروس للشيخ محمد صالح المنجد - حفظه الله - مفرغة (١٣-٢١/ ١٩٦) / الموسوعة الشاملة].

العلاقة بين التوحيد والاستغفار

▪ كثيراً ما نمرّ على الآيات ونقرأ الأحاديث، فنجد حبلاً ينظم بين عددٍ منها، ونلحظ علاقاتٍ تقوم بينها، لا تظهر إلا عند التأمّل في هذه النصوص الشرعيّة وتدبّرها، ولعل من اللافت في ذلك، ما نراه من رابطةٍ متينة، وتوافقاتٍ لطيفة، قامت بين شهادة أن لا إله إلا الله، وبين الاستغفار وطلب التجاوز والعفو منه تعالى.

▪ لنتأمّل كيف ذكر الله سبحانه وتعالى هذين الأمرين جميعـًا في سياقٍ واحد: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، ثم لننظر كيف اشتملت الآية السابقة على هاتين العبادتين، وما جمع الله

بينهما إلا ليُنبّه عباده على التلازم والتوافق الحاصل بينهما.

▪ والسرّ في هذه العلاقة أن التوحيد سببٌ في تحصيل الخيرات بأنواعها، والاستغفار سببٌ في محو الذنوب التي تسوء الإنسان في دنياه وأخراه، فيتحصّل من هاتين العبادتين: تحقيق الخير بأنواعه، وإزالة الشرّ بأصنافه، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالتوحيد هو جماع الدين الذي هو أصلُه وفرعه ولُبّه، وهو الخير كلُّه، والاستغفار يُزيل الشرَّ كلَّه، فيحصل من هذين جميعُ الخَيْر وزوالُ جميع الشرّ، وكلُّ ما يُصيب المؤمن من الشرِّ فإنما هو بذنوبه).

▪ ويمكن القول كذلك: إن تحقيق التوحيد الخالص يقتلع من القلب شجرة الشرك الخبيثة من جذورها، وأما الاستغفار: فيمحو الذنوب والعثرات التي هي من عوالق

الشرك، فالتوحيد يُذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، ولذلك نجد أن الحديث القدسي تعرّض لهاتين القضيّتين في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال الله تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».». [رواه الترمذي].

▪ وإننا لنجد هذه العلاقة تتكرّر بين الحين والآخر، فنراها في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، فهنا الأمر الإلهي ببيان حقيقة التوحيد، والمتضمّنة لإفراد الله بالعبودية، ولزوم الاستقامة النابعة من هذه الحقيقة، مع

المداومة على الاستغفار؛ لأن العامل وفق مقتضى التوحيد، لا مناص من وقوعه في التقصير والخلل؛ وحتى يصحّح الموحّد مساره ويقوّم صراطه، كان ينبغي عليه أن يُلازم الاستغفار.

وقد يحسن بنا أن نضرب لهذه القضيّة مثلاً، فإن من أراد بأحد الملوك حاجةً، فإن أوّل ما يُفكّر فيه: كيف يستطيع الوصول إلى هذا الملك؟ وكيف تُزال عنه الموانع التي تمنع من محادثته ومخاطبته بطلبه وحاجته، كذلك أمرُ التوحيد والاستغفار، فالتوحيد – كما يقول الإمام العلامة الرباني ابن القيم –: (يدخل العبد على الله عزّ وجل، والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، فإذا وصل القلب إليه: زال عنه همّه وغمّه وحزنه)، ولعل ذلك هو ما جعل من

دعوة يونس عليه السلام خير ما دعا بها أهل البلاء والكروب، فعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون، إذْ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط، إلا استجاب الله له». [رواه الترمذي]، وذو النون هو نبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

▪ ثم نجد هذه الرابطة اللطيفة في حديث اشتُهر وعُرف باسم سيد الاستغفار، وهو حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، ثم خُتم الحديث بفضلٍ آخر يدلّ على

حُسْن خاتمة الملازِمين والمداومين لهذا الدعاء الجليل، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة». [رواه البخاري].

▪ قال ابن أبي جمرة تعليقًا: (جمُع في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه هو الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذ عليه، والرجاء بما وعده به، والاستغفار من شر ما جنى العبد على نفسه).

وجرت العادة في العُرف الشرعي أن تُختتم العبادات بالدعاء المتضمّن لطلب التجاوز من العلي الغفّار جلّ

جلاله، خصوصاً لما يقع من الإنسان من الخطأ والتقصير، الأمر الذي يوضّح ويُبرز هذا التلازم جليّاً واضحاً، ففي الوضوء يُسنّ اختتامه بدعاء: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) [رواه الترمذي]، وفي مُختتم الصلاة يقول المصّلي قبل تسليمه: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت) [رواه الترمذي بطوله، ورواه أبو داود مختصراً].

ويروي ابن عباس رضي الله عنهما قائلاً: كان النبي ﷺ إذا تهجّد من الليل، قال: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت،

فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت». [رواه البخاري].

▪ وقد تجاوز الأمر دائرة العبادات ليشمل مجالس الناس التي يحدث فيها اللغو والكلام الذي لا يكون في ميزان حسنات العبد، فجاءت السنّة لتُقرّر ختم هذه المجالس بالدعاء المشتمل على شهادة التوحيد والاستغفار، ففي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي، أن النبي ﷺ قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك».

فيتبيّن مما سبق، شمول اقتران الاستغفار بشهادة أن لا إله إلا الله، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق

كلهم، فحق الله أن نوحّده ولا نُشرك به شيئًا، ومقتضى الإنسانيّة أن نستغفر الله من ذنوبنا وخطئنا وتقصيرنا، وبهاتين العبادتين يحصل الفلاح للعبد وتتحقق له النجاة.

[موقع إسلام ويب].

قوام الدين بالتوحيد والاستغفار

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد أن يرفع عنه الشر؛ فلهذا قال ذو النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع. كقوله تعالى: فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾. وقوله: أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾. وقوله: وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ۝٥٠﴾، إلى قوله: وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾. وقوله: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ

وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾. وخاتمة المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك». إن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له، وقد روي أيضا أنها تقال في آخر الوضوء بعد أن يقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين». وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار). [مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٦٢)].

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، ولا يزال محتاجًا إلى التوبة والاستغفار.

ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال: قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]؛ قال بعضهم: (أحيوا الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر أمروا بالاستغفار)، وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: «استغفر الله ثلاثا»، وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام». وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩]، ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار، كما قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود: ١-٣]، وقال

تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [فصلت: ٦]، وقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]، ولهذا جاء في الحديث: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار»، وقال يونس: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ وكان النبي ﷺ إذا ركب دابته يحمد الله، ثم يكبر ثلاثا، ويقول: «لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي»؛ وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء: «سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»). [التحفة العراقية: (١/ ٧٩- ٨٠)].

القصيدة التائية في الوعظ

■ **من روائع الشعر والحِكَم.**

إلَــى كَــمْ تَمَــادَى في غُــرُوْرٍ وَغَفلَــةٍ
وَكَــمْ هَكــذا نــومٌ إلَــى غَيــر يَقْظَــةِ
لَقَــدْ ضَــاعَ عُمْــرٌ سَــاعَةٌ منــه تُشْــترى
بمِــلءِ السَــما والأرض أيَّــةَ ضَــيْعَةِ
أَيُنْفَــقُ هَــذَا في هَــوَى هَــذِهِ التــي
أَبَــى اللهُ أَنْ تسْــوَى جَنَــاحَ بعوضَــةِ
أَتَرْضَــى مِــن العَــيْشِ الرَّغِيْــدِ وَعِيْشَــةٍ
مَــعْ المــلأ الأَعْلَــى بِعــيْشِ البَهِيْمَــةِ
فيــا دُرَّةً بَــيْنَ المَزَابِــلِ أُلْقِيَــتْ

وَجَـــوْهَرَةً بيْعَـــتْ بـــأَبْخَسِ قِيْمَـــةِ
أَفَـــانٍ بِبَـــاقٍ تَشْـــتَرِيْهِ سَـــفَاهَةً
وَسُـــخْطًا بِرِضْـــوَانٍ ونـــارًا بجنـــةِ
أَأَنْـــتَ صَـــدِيقٌ أَمْ عَـــدوٌ لِنَفْسِـــهِ
فإنَّـــكَ تَرْمِيْهَـــا بِكُـــلِّ مُصِـــيْبَةِ
ولـــو فَعَـــلَ الأَعْـــدَا بِنَفْسِـــكَ بَعْـــضَ مَـــا
فَعَلْـــتَ لَمَسَّـــتْهُم لَهَـــا بَعْـــضُ رَحْمَـــةِ
لَقَـــدْ بِعْتَهَـــا هَوْنًـــا عَلَيْـــكَ رَخِيْصَـــةً
وكانَـــتْ بِهَـــذا مِنْـــكَ غَيْـــر حَقِيْقَـــةِ
أَلاَ فاسْـــتَفِقْ لا تَفْضَـــحَنهَا بِمَشْـــهَدٍ
مِـــنَ الخَلْـــقِ إِنْ كُنْـــتَ ابْـــنَ أُمٍّ كَرِيمَـــةٍ
فَبَـــيْنَ يَـــدَيْهَا مَشْـــهَدٌ وَفَضِـــيحَةٌ

يُعَـــدُّ عَلَيْهَـــا كُـــلُّ مِثْقَـــالِ ذَرَّةِ

فُتِنْـــتَ بِهَـــا دُنْيـــا كَثِيْـــرٌ غُرُوْرُهَـــا

تُعَامِـــلُ فِي لَـــذَّتِهَا بالْخَدِيْعَـــةِ

إذَا أقْبَلَـــتْ بَـــذَّتْ وَإنْ هَـــي أَحْسَـــنَتْ

أَسَـــاءَتْ وإنْ ضَـــاقَتْ فَثِـــقْ بالكُـــدوْرَةِ

وإنْ نلْـــتَ مِنْهَـــا مـــالَ قـــارُوْنَ لَـــمْ تَنـــلْ

سِـــوَى لُقْمَـــةٍ فِي فِيْـــكَ مِنْهَـــا وخِرْقَـــةِ

وهَيْهَـــاتَ تحْظَـــى بالأمـــاني ولَـــمْ تَكُـــنْ

لِتَنْزِعَهَـــا مـــن فِيْـــكَ أَيْـــدِي المنِيَّـــةِ

فَـــدَعْهَا وأَهْلِيْهَـــا لِتَغْـــبِطَهُمْ وخُـــذْ

لِنَفْسِـــكَ عنهـــا فهـــو كُـــل غَنِيْمَـــةِ

وَلاَ تغْـــبِط مِنْهَـــا بِفَرْحَـــةِ سَـــاعَةٍ

تَعُـــوْدُ بـــأحْزَان عَلَيْـــكَ طَوِيْلَـــةِ
فَعَيْشُـــكَ فِيْهَـــا أَلْـــفُ عَـــامٍ وتَنْقَضِـــيْ
كَعَيشِـــكَ فِيْهَـــا بَعْـــضُ يَـــوم وَلَيْلَـــةِ
وكُـــنْ ذَاكِـــرًا اللهِ فِي كُـــلِّ لَحْظَـــةٍ
ولا تَنْسَـــهُ تُنْسَـــى فَخُـــذْ بنَصِـــيْحَتِيْ
كَلِفْـــتَ بِهَـــا دُنْيَـــا كَثِيْـــرٌ غُرُوْرُهَـــا
تُقَابِلُنَـــا فِي نُصْـــحِهَا فِي الخَدِيْعَـــةِ
عَلَيْـكَ بِمـا يُجْـدِي عَلَيْـك مِـن التُّقَـى
فإنَّـــكَ فِي سَـــهْوٍ عَظِـــيمٍ وَغَفْلَـــةِ
تُصَـــلِيْ بـــلا قَلْـــبٍ صَـــلاة بِمِثْلِهَـــا
يكـــونُ الفَتَـــى مُسْـــتَوْجِبًا لِلْعُقُوْبَـــةِ
تُخَاطِبُـــهُ إيَّـــاكَ نَعْبُـــدُ مُقْـــبِلًا

عَلَـــى غَيـــرِهِ فيهَـــا لِغَيـــرِ ضَـــرُوْرَةِ

ولـــو رَدَّ مَـــن نَاجَـــاكَ لِلغَيْـــرِ طَرْفَـــهُ

تَمَيَّـــزْتَ مِـــن غـــيظٍ عليـــهِ وَغَيْـــرَةِ

فوَيلَـــكَ تَـــدْرِي مَـــن تُناجِيْـــهِ معْرضًـــا

وبَـيْنَ يَـدَي مَـن تَنْحَنِـي غَيْـرَ مُخْبَـتِ

أَيَّـــا عَـــامِلاً لِلنَّـــارِ جِسْـــمُكَ لَـــينٌ

فَجَرِّبْـــهُ تَمْرِيْنَـــاً بحَـــرِّ الظَّهِيْـــرَةِ

وَدَرَّبْـــهُ في لَسْـــعِ الزَّنَـــابِيرِ تَجْتَـــرِي

عَلـــى نَهْـــشِ حَيَّـــاتٍ هُنـــاكَ عَظِيْمَـــةِ

فـــإنْ كُنْـــتَ لاَ تَقْـــوَى فَوَيْلَـــكَ مـــا الـــذي

دَعَـــاكَ إلـــى إسْـــخاطِ رَبِّ البَرِيَّـــةِ

تُبَـــارِزُهُ بـــالمُنْكَراتِ عَشِـــيَّةً

وَتُصْبِحُ في أَثْوَابِ نُسْكٍ وَعِفَّةٍ

تُسِيءُ بِهِ ظنًّا وَتُحِسِنُ تارةً عَلَى

حَسْبِ ما يَقْضِي الهوَى بالقَضِيَّةِ

فأَنْتَ عليهِ أجْرَى مِنْكَ عَلَى الوَرَى

بِمَا فِيْكَ مِن جَهْلٍ وَخُبْثِ طَوِيَّةِ

تَقُولُ مَعَ العِصْيانِ رَبي غَافر

صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافرٌ بالمَشِيْئَةِ

وَرَبُّكَ رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ

فَلِمَ لاَ تُصَدِّقْ فِيْهَما بالسَّوِيَّةِ

فَكَيْفَ تُرَجِّيْ العَفْوَ مِن غَيْرِ تَوْبَةٍ

وَلَسْتَ تُرجِّي الرِّزْقَ إلاَّ بحِيْلَةِ

عَلَى أَنَّهُ بالرِّزْقِ كَفَّلَ نَفْسَهُ

وَلَـــمْ يَتكَفَّـــلْ للأَنَـــامِ بجنَّتِـــيْ

ومـــا زِلْـــتَ تَسْـــعَى بالـــذي قَـــدْ كُفِيتَـــهُ

وَتُهمِـــلَ مـــا كُلِّفتَـــهُ مِـــن وَظِيْفَـــةِ

إلهـــي أجِرْنَـــا مِـــنْ عظِـــيْمِ ذُنُوبِنَـــا

ولا تُخْزِنَـــا وَانْظُـــرْ إلينَـــا بِرَحْمَـــةِ

وَخُـــذْ بِنَواصِـــيْنَا إليْـــكَ وَهَـــبْ لَنَـــا

يَقينًـــا يَقِيْنَـــا كُـــلَّ شَـــكٍّ وَرِيْبَـــةِ

إلهـــي اهْـــدِنَا فِـــيْمَنْ هَـــدَيْتَ وَخُـــذْ بِنَـــا

إلـــى الحَـــقِّ نَهْجًـــا في سَـــواء الطَّرِيْقَـــةِ

وكُـــنْ شُـــغْلَنا عَـــنْ كُـــل شُـــغْلٍ وَهَـــمٍّ

وَبُغْيتَنَـــا عـــن كُـــلِّ هَـــمٍّ وَبُغْيَـــةِ

وصـــلّ صـــلاةً لا تَنَـــاهى عَلَـــى الـــذي

جَعَلْتَ بِهِ مِسْكًا خِتَامَ النُّبُوَّة

[القصيدة للشاعر الإمام الفقيه الشافعي اليمني أبي محمد إسماعيل بن المقري رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٥٤هـ-٨٣٧هـ)].

ومما جاء في ترجمته في [البدر الطالع] للعلامة الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ قوله عنه: (... بل قيل إن الْيمن لم ينجب مثله. وشعره في الذروة الْعَالِيَة حَتَّى قَالَ بعض معاصريه: إنه أشعر من المتنبي...

وَالْحَاصِل أنه إمام في الْفِقْه والعربية والمنطق وَالْأُصُول وَذُو يَد طولى فِي الْأَدَب نظمًا ونثراً ومتفرد بالذكاء وَقُوَّة الْفَهم وجودة الْفِكر وَله في هَذَا الشَّأْن عجائب وغرائب لَا يقدر عَلَيْهَا غَيره وَلم يبلغ رتبته فِي الذكاء واستخراج الدقائق أحد من أَبنَاء عصره بل وَلَا من غَيرهم...). [البدر الطالع (١/ ١١٤)].

محتويات الكتاب

الإصرار والاستهانة بصغائر الذنوب مهلكة..... ٥

خطورة الإصرار على صغائر الذنوب في الأحاديث و الآثار ٩

لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع توبة واستغفار... ١٤

آثار وأضرار الإصرار على الصغائر ١٩

التحذير من الاغترار بمكفرات الذنوب ٢٥

معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ ٣٥

الاستغفار بلا توبة هل ينفع صاحبه؟؟ ٤٢

النصوص الشرعية تدل وتحث وترغب في التوبة والاستغفار وإن تكرر الذنب ولا تدل ولا تحث على تكرار الذنب.. فشتّان شتّان ٥٧

الاستغفار أمان لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة ٦٦
حث الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ على الاستغفار ٦٧
حث الأمة على الاستغفار ٦٨
الأسوة والقدوة ﷺ كان من هديه وسنته ملازمة
ومداومة الاستغفار ٦٨
الأسوة والقدوة ﷺ يستفتح النهار بالاستغفار.. ٧١
الأسوة والقدوة ﷺ يحث على الاستغفار وكثرته.. ٧٢
أهمية الاستغفار في حق النساء ٧٤
ثمار وآثار الاستغفار ٧٥
العلاقة بين التوحيد والاستغفار ٨١
قوام الدين بالتوحيد والاستغفار ٩٠
القصيدة التائية في الوعظ ٩٤
محتويات الكتاب ١٠٢